الفصل الخامس عشر

التربيـــــة الخلقيـــة

أن الاخلاق الفاضلة هى من المبادى الضرورية العامة التى لم تختص بها أمه دون أمة ولا عصر دون عصر، قررتها الشرائع السماويةوأوجبتها الطبائع البشرية ولم تجمع النفوس على شىء اجماعها عليها فما من أمة أو مجتمع تقليدى أو متقدم يزعم أن الصدق والامانة والصبر أمور ضارة وأن الكذب والخيانة والجزع أمور نافعة ٠

فالاخلاق ناموس الكون العام وقانون الخليقة منذ وجدت ، ومن أخل بشىء منها فهو آثم باجماع الاعراف والشرائع ٠

وقد عمل الرسول المعلم عليه الصلاة والسلام على محاربة الجهل والرذيلة التى كانت سائدة فى الجاهلية بالعلم والتعليم والتربية الخلقية لان العلم منبع الخير وأسس الصلاح ، فالعلم والفضيلة توأمان لا يفترقان وأن الانسان يعمل الشر لانه يجهل الخير ٠

وقد اتخذت التربية الاسلامية من الخلق أساسا ونبراسا فكان تهذيب الخلق هو الهدف الاساسى للتربية العقلية وارتبط نجاح الدعوة الاسلامية والعملية التربوية بالنجاح فى تحويل خلق الجاهلية وحكمها الى خلق الاسلام وشريعته فالتعليم يهذب الخلق ، غير أن الاسلام يرى ان تهذيب الخلق لا يكون من مجرد معرفة الخير والعلم بالحلال والحرام بل من تطبيق المعرفة والعلم فى السلوك ، فالخير ضربا من ضروب الكفاية العملية التى تظهر فى السلوك اكثر من اعتباره حالة من حالات العقل والمعرفة النظرية

ولذا فان التربية الخلقية فى الاسلام لم تكن مجرد كلمات تحفظ أو شعارات تعلق أو آيات تتلى عن الفضائل ، ولم تكن مجرد ألفاظ تلقن الى المتعلمين ليصبحوا ذوى أخلاق حسنة بل ان التربية الخلقية فى الاسلام ترتبط بالأقوال والافعال معا أى أنها تربية ترتبط فيها النظرية بالتطبيق لأن الدين الاسلامى دين معاملة وتعامل ودين فعل وعمل وليس دين ألفاظ وشعارات ٠

كما أن الاسلام لا يعتد بمجرد السلوك الملاحظ وانما يهتم كذلك بالنية والقصد من هذا السلوك ، فالشعور الباطنى لابد أن يكون صادقا مع الفعل الخارجى حتى يكون الفرد مؤمنا بالله عز وجل لأن من صفات المنافقين أنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والشعور الباطنى لا يقدر على معرفته

غير الله سبحانه وتعالى أما السلوك الخارجي فهو ادراكه على المؤمنين ولذا قال الله تعالى :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١) ٠

وبهذا فان **نظرية التربية فى الاسلام** تعتمد فى تقويمها لشخصية الفرد المؤمن على السلوك الخارجي والقصد والنيـة الداخلية معا ٠ وذلك على عكس النظريات السيكولوجية الحديثة التى هى من وضع الانسان فانها تعتمد فقط على السلوك الخارجي ومظاهره عند الحكم على الاشخاص ٠ فعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » ٠

ولقد دلت الرسالات السماوية فى جميع مراحلهـا وتعـددها على أن السعادة التى يسعى الانسان لبلوغها ، انما هى تكمن فى حسن الخلق ، كما دلت على أن الايمان الذى لا يتخذ من التقوى زادا له والعلم الذى لا يتأسس على الأخـلاق الفاضلة ، انما هـو ايمان مفلس ، وعلم يهـدم الشخصية الانسانية ويزعزع أركانها فالخلق الحسن هو ضمام الامان لجميع جوانب الشخصية ومن هنا كانت عناية الاسلام به تفوق كل عناية ٠

وقد كثرت توصيات الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الجـانب حين قال :

« اثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » ٠

فجاء رجل ذات يوم مرة ووقف بين يديه وساله : ما الدين يا رسول الله ؟ فقال : حسن الخلق ، فجاءه من قبل يمينه وساله السؤال نفسه ، وكان الجواب : حسن الخلق : ثم جاءه من الخلف وساله السؤال ، وكان الجواب : حسن الخلق ٠

اذ أن المؤمن العابد الذى يمارس طقوس الدين وشعائره ويحافظ على أداء فرائض الاسلام ولكنه سيء الخلق مع من يتعامل معهم فانه لا يحظى برضا الله ورضوانه ٠ وفى هذا يقول أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل جمعا من المسلمين يتعلمون على يديه فقال :

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : أن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ،

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٥

فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » .

وقد مدح الرسول حسن الخلق بقوله :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا » .

عن ابن عمر عن النبى قال : « ان الرجل ليبلغ بحسن خلقه ، درجة الصائم القائم » .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كرم المرء دينه ، ومروءته خلقه » .

عن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال :

« كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته الاعراب من كل مكان فقالوا : يا رسول الله ما خير ما أعطى الانسان أو المسلم ؟ قال : « الخلق الحسن » .

ولم تكن وصايا الرسول لصحابته ومريديه من المؤمنين به رسولا بحسن الخلق بين المسلم وأخيه المسلم فحسب بل أوصى الله ورسوله المؤمنين بحسن معاملة اهل الكتب السماوية الاخرى من اليهود والنصارى، كما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بحسن معاملة الذميين من أتباع الديانات غير الاسلام .

ففى كتاب القرآن يحث الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يحسنوا معاملة غير المسلمين وأن يكونوا معهم بررة وعدولا فى قوله تعالى :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين » (١) .

ويبيح الاسلام للمسلمين أن يؤاكلوا غير المسلمين وأن يتزوج الرجل المسلم منهم .

قال تعالى :

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » (٢) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة ومثلا أعلى فى حسن معاملة أهل الكتاب وتسامحه معهم فقد روى أنه كان يحضر ولائمهم ، ويعود مرضاهم ويشيع جنازاتهم ويزورهم ويكرمهم .

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٥ .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من أذى ذميا فليس منى » .

الامر بالمعروف هو أهم القيم الخلقية الفاضلة .

وقد جاء منهج الاسلام فى باب أحكام المعاملات بأصول التربية الخلقية ومبادئها ، وحدد جوانبها المعنوية والمادية التى تحقق الامن النفسى للفرد لكى يعيش فى مجتمع فاضل ، فالعلاقات بين الناس فى الاسلام تقوم على أساس العلاقات الروحية المنزهة عن كل هدف أو مصلحة مادية ومع ذلك فان الاسلام لم يهمل الجانب المادى الذى يربط بين الناس فى معاملاتهم اليومية .

فالعلاقات الاجتماعية فى الاسلام لا تبنى على الروابط الادبية والمعنوية من تواد وتراحم وبر وصدق فحسب وانما بنيت أيضا على أساس من العلاقات المادية من حيث مديد المعونة الى المحتاج ، والانفاق على الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قولبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، وكذلك اغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب وتأمين الخائف واشباع الجائع .

وهكذا فان الامر بالمعروف فى التربية الخلقية الاسلامية دون تكلف أو معاناة هو من أهم القيم الخلقية التى تهدف الى تحقيق الاطمئنان النفسى والامان المادى للفرد المسلم لان المعروف هو عمل مادى لا يتأتى الا عن نفس راضية ، وقيمته تكون فى دوافعه لا فى حجمه وصورته .

وفيما يلى عدد من الصفات الخلقية المرغوبة التى أمر بها الرسول وأخرى غير مرغوبة نهى عنها فى منهج التربية الخلقية .

أولا - الصفات الخلقية المرغوبة :

١ - كسب المودة واستمالة قلوب الناس :

ان كسب المودة واستمالة القلوب من السمات التى حث عليها الرسول لان من شأنها أن تدعم روابط الالفة بين أفراد المجتمع وتشيع المحبة والتعاون بين الناس .

قال عليه الصلاة والسلام :

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو ادلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم ذلك ان مثل هذه التحية

تصفى لك ود الآخر وتسكب فى نفسه الحب وتشيع حوله الطمأنينة والسلام » (١) ٠

ولقد يكون بين الانسان وأخيه الانسان جفوة أو خصام ، وهنا تظهر قوة الخلق وسماحة النفس والتفاضل بين الناس ٠

قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » (٢) ٠

٢ ـ بذل الصدقة لمن يستحقها :

أن بذل الصدقة بمعناها الواسع العميق لا يقتصر على الغنى دون الفقير ، ولا على القادر دون العاجز ولا على القوى دون الضعيف ، بل جميع ميسرة أمامهم أبواب هذا الخير ، متاحة لهم أسبابه ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة فى يوم طلعت فيها الشمس » ٠

قيل : يا رسول الله ، من أين لنا صدقة فنتصدق بها ؟ فقال :

« أن أبواب الخير لكثير : التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم وتهدى الاعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة » ٠

٣ ـ صلة الرحم :

روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ فى أثره فليصل رحمه » ٠

٤ ـ اكرام الجار والضيف :

عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) صحيح مسلم جـ٢ ص ٣٥ ٠
(٢) صحيح مسلم جـ١٦ ص١٧٧ ٠

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (١) ٠

٥ ـ تيسير أمر عسير على أخ مسلم عند ذى سلطان :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« من كان وصلة لاخيه المسلم الى ذى سلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير ، أعانه الله على أجازة الصراط يوم القيامة عند محض الاقدام » ٠

٦ ـ بر الوالدين :

وكما أوجب الرسول عليه الصلاة والسلام على الاباء والامهات حسن معاملة أولادهم وتأديبهم وتزويجهم عندما يكبرون ، فقد أوجب على الابناء أيضا بر والديهم حتى يزداد الرباط الاسرى وكسب الابناء رضا الاباء عنهم فالجنة تحت أقدام الامهات ٠

سئل النبى صلى الله عليه وسلم ، أى العمل أحب الى الله ؟ قال : الصلاة فى وقتها : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قيل ثم أى قال : الجهاد فى سبيل الله » (٢) ٠

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام للمؤمنين ان الانفاق على الوالدين ورعايتهما صورة من صور الجهاد فى سبيل الله ٠

عن عبد الله بن عمر قال :

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد ، فقال : أحى والداك ؟ قال نعم ، قال ففيهما فجاهد » (٣) ٠

ولقد حظيت الامبنصيب أكبر من ضرورة الرعاية التىأوصى بهاالرسول الابناء بالاباء نظرا لما تتحمله الام من آلام وجهد وصبر فى الحمل والولادة ، وتربية الابناء حتى يصبحوا رجالا أو نساءا صالحين فى المجتمع ٠

فقد جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : ثم أبوك » (٤) ٠

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما ٠
(٢) صحيح البخارى جـ ٨ صفحة ٣ ٠
(٣) صحيح مسلم جـ ١٦ صفحة ١٠٤ ٠
(٤) صحيح البخارى جـ ٨ صفحة ٣ ٠

هذا غير الصفات الخلقية الفاضلة التى أوصى الرسول الفرد المسلم بالتحلى بها ، ولا يسع المجال هنا لذكرها جميعا ، ومنها الصبر والحلم ، والحياء ، والعفة ، وغض البصر ، والعدل ، وكظم الغيظ ، والعفو عن الناس عند المقدرة ، والرفق فى معاملة الصغار ، وطاعة الوالدين وأولى الامر ، واعطاء كل ذى حق حقه ، ودفع دعوة المظلوم لانه ليس بينها وبين الله حجاب ، وغيرها من السمات الخلقية المرغوب فيها فى التربية الاسلامية وأحكام المعاملات كما جاءت فى القرآن والسنة .

ثانيا : الصفات الخلقية غير المرغوب فيها :

١ - النفاق :

لقد وصف الرسول عليه الصلاة والسلام للمؤمنين صورة الشخص المنافق حتى يتجنبوها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من علامات المنافق ثلاثة : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان » (١) .

وكذلك قوله :

« تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » (٢) .

٢ - الكذب :

ومن سوء الخلق الذى نهى عنه الرسول ، الكذب ، حيث قارن بين الصدق والكذب وبين أنهما يعادلان الجنة والنار بقوله :

« ان الصدق بر ، وأن البر يهدى الى الجنة ، ان العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وأن الكذب فجور ، وأن الفجور يهدى الى النار ، وان العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذابا » (٣) .

٣ - الغيبة والنميمة والغدر :

ومن السمات المكروهة فى الفرد المسلم ما ذكره الرسول عليه الصلاة

---

(١) صحيح مسلم جـ٢ صفحة ٤٧ .
(٢) البخارى جـ٨ صفحة ٢١ .
(٣) صحيح مسلم جـ ١٦ صفحة ١٦٠ .

والسلام فى مضار الغيبة والنميمة والغدر . ففى احد المجالس العلمية التى عقدها الرسول للمسلمين قال :

« أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد غبته وان لم يكن فقد بهته » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخل الجنة نمام » (١) .

٤ - السبع الموبقات :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الاشراك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٢) .

٥ - الكبائر الثلاث :

وروى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثا (أى ثلاث مرات) قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : الا وقول الزور وشهادة الزور ، فمازال يكررها حتى قلنا : ليته يسكت » .

اذ أن قول الزور من الذنوب العظيمة ، وكتمان الحق دائما جسيما ، لان بهذا الامر تضيع الحقوق ويختل ميزان العدل ، وينتشر الفساد فى الارض ، كما أنه غش الله ولرسوله وللناس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد بالزور » (٣) .

وقال أيضا :

« من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ صفحة ١١٢ .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والصغير .

٦ - استشعار اللذة فى تعذيب انسان أو حيوان :

أن أتيان بعض الاعمال أو الافعال التى تسبب الاما أو تعذيبا للانسان أو الحيوان بغير حق هو عمل غير مرغوب فيه لأنه منافى للرحمة المطلوبة فى الفرد المسلم ، كما أن جزاءها فى الآخرة نار جهنم ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عذبت امراة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض » (١) ٠

٧ - الظـــن :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسنوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا » (٢) ٠

وما جاء فى السنة الشريفة من تنديد أو معرفة بالخلق الحسن والخلق السيء ، وما امر به الرسول من سلوك فاضـل ، وما نهى عنه من أفعـال رذيلة ، انما هو تبيان وتفسـير لمـا جاء ذكره فى القـرآن الكريم من امـر بالمعروف ونهى عن المنكر وما عبرت عنه آيات الذكر الحكيم فى مجال التربية الخلقية من قيم فاضـــلة يتعلمها المؤمنون وقيـــم باطلة نهوا عنها فى قوله تعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » ٠

« ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » ٠

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » ٠

« ولا تقربوا ما لـاليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » ٠

« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » ٠

« وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا » ٠

---

(١) رواه مسلم جـ١٤ صفحة ٢٤٠ ٠
(٢) البخارى جـ٨ صفحة ٢٣ ٠

« ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسئولا » .

« ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » .

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » .

« واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » .

« واستعينوا بالصبر والصلاة أن الله مع الصابرين » .

« لا يحب الله الجهر بالسوء من ظلم وكان الله سميعا عليما » .

« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها آثم قلبه » .

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

« أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » .

« ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » .

« اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » .

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » .

« ان تؤدوا الامانات الى أهلها » .

« اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب » .

« وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى وآتوا البيوت من ابوابها » .

« فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » .

هذه الآيات سابقة الذكر وغيرها مما لا يسمح المجال هنا لذكره ، تحث المؤمنين وتوصيهم باتباع الاخلاق الحميدة والسلوك المرغوب فيه والتخلى عما تعودوه من عادات سيئه وسلوك رديل وقيم باطلة وذلك لصالح الفرد والجماعة .

والغرض من التربية الخلقية فى الاسلام هو تكوين مواطنين صالحين رجالا ونساءا أقوياء العزيمة مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم راقين فى سلوكهم الظاهر والخفى وبذلك يتكون مجتمع فاضل امن سلوده مجموعة من العلاقات الانسانية قائمة على دعائم العدل والحق والرحمة ، ومجموعة من القيم الروحية تساعد الفرد على التوافق الفردى والاجتماعى .

ولذا فان حفاوة القرآن بالعقل ودعوته الى التفكير والتدبر والتذكر والتعقل وحرصه على العلم والتعليم ، كل ذلك لم يكن بعيدا عن الاخلاق والفضيلة ، فالعلم والفضيلة فى التربية الاسلامية شيئان مكملان لبعضهما، لأن العلم الذى لا يؤدى الى الفضيلة يكون علما مجردا من الروح وبعيدا عن الايمان به وانما العلم فى القرآن هو الذى ينمى العقل ويذكيه ويؤدى بالانسان الى تقوى الله وخشيته منه ، ويكسب الفرد الصفات الخلقية المرغوب فيها . فالتربية الخلقية هى هدف الرسالات السماوية ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

وقد خصه الله بنزول القرآن عليه وأمره بالتبشير بالدعوة الاسلامية لأنه كان أكمل العرب أخلاقا ، فى قوله تعالى :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد وجه للمؤمنين دعوة للاقتداء بالرسول فى قوله تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وقد اتفقت الرسالات السماوية على أن العلم فضيلة تهذب الاخلاق واعترف بذلك المفكرون والعلماء والمصلحون والتربويون على مر العصور غير أن الاسلام رأى أن هذه الفضيلة لا تتأتى الا بتأثير العلم فى النفوس ، ولا يصبح العلم فضيلة الا اذا ظهر فى السلوك .

قال تعالى :

« ... أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... » (١).

---

(١) سورة الرعد آية ١١ .

وقد مرت عملية التربية الخلقية بثلاث مراحل هى :

١ - مرحلة المعرفة النظرية بوصف الخلق ومعناه ووصفه .

٢ - مرحلة التنديد بالسلوك السيىء والعادات الرذيلة والتمييز بين الحلال والحرام وجزاء كل منهما .

٣ - مرحلة الفعل والارادة بتنفيذ الاوامر والنواهى .

وهى مرحلة الاقدام على السلوك الفاضل والاحجام عن السلوك الرذيل.

وبذلك فان التربية الخلقية هى دعوة الاسلام بالحسنى الى العمل الصالح الذى يحقق الرقى الاخلاقى الذى تسعى اليه الانسانية المهذبة لتحقيق الرقى الفكرى والحضارى .

- أنها دعوة الى أولى العلم والراسخين فيه ليكونوا ربانيين بما تعلموا ودرسوا فى الكتب السماوية . قال تعالى :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » .

- ودعوة الى التاجر لكى يكون صدوقا ويزن بالقسط ويفى بالكيل والميزان .

قال تعالى :

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » .

- ودعوة الى العامل كى يتقن عمله ، قال صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

- ودعوة الى العامل بأن يعمل ويأكل من كسب يده .

قال تعالى :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده فى الدروع من الحديد ويبيعه لقومه » .

- ودعوة الى الاب كى ينفق مما كسبه على من يعولهم ويبدأ بالانفاق على الزوجة والاولاد ثم الاقارب ، ولا يعط المال الى غيرهم اذا كانوا فى حاجة اليه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » ٠

ـ ودعوة الى الرئيس والقائد والحاكم كى يرعى كل منهم ما وكل اليه من آمر رعيته واذا حكم بينهم فليحكم بالعدل ٠

قال تعالى : « واذا حكمتم بين الناس فأحكموا بالعدل » ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ٠

ـ وهى دعوة الى الناس جميعا كى يؤدوا الامانات الى أهلها حيث أنه لا أمان لمن لا أمانة له ، ودعوة الى الصدق والرحمة ٠

« وأدوا الامانات الى أهلها » ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا » ٠

وقال تعـــالى :

« فبما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضـوا من حولك » ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » ٠

ـ ودعوة الى المعلم كى يكون وقورا رحيما مع من يعلمه ، وصبورا مع من يتعلم منه ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أطلبوا العلم وأطلبوا مع العلم السنة والحلم ، لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب علمكم جهلكم » ٠

ـ ودعوة الى الزوج كى يحسن معاملة زوجته وأمـر الى الزوجة كى تطيع زوجها وأن تحسن اليه ، وما جاء فى الاحاديث النبوية فى هذا المجال انما هو بيان وتفسير لمـا أمر الله به سبحانه وتعالى فى آيات الذكر الحكيم من حسن المعاشرة بين الزوجين ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها فى آخر اليوم » (١) ٠

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ ٠

وقال أيضـــا :

« ما استفاد المؤمن من بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها اسرته ، وأن اقسم عليها أبرته ، وأن غاب عنهـا حفظته فى ماله وعرضه » (١) ٠

ولا شك أن قيام الحياة الزوجية على الشك والريبة من شأنه أن يفسد جو الاسرة ويهددها بالتفكك والانهيار ومن هنا فقد شدد الرسول عليـه الصلاة والسلام على عدم التعريض بالزوجة ٠

عن أبى هريرة قال : « ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاءه أعرابى فقال : يا رسول الله ان امرأتى ولدت غلاما أسود وانى انكرته ، فقال النبى : هل لك من ابل ؟ قال نعم ، قال : حمر ، قال : هل فيها اورق ، قال ، نعم ، قال : فانى كان ذلك ؟ قال : أراه عرق نزعه ، قال فلعل ابنك هذا نزعه عـرق » ٠

ـ ودعوة الى الشباب الى الزواج للحفاظ على دينه وصون عقله وجسمه من التعرض للامراض ، وللابتعاد عما يغضب الله من أعمال الاثم والبغى والزنى فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« يامعشر الشباب : من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم » ٠

والى جانب الأوامر والنواهى والعظات والحكمة التى استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام فى تربية الصحابة وأبناء المسلمين تربية خلقية فقد استخدم كذلك الوصايا ٠

ومن الوصايا فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما أوصى به ابا ذر بقوله :

روى ابن حيان فى صحيحه عن أبى ذر قال :

« قلت يا رسول الله اوصنى قال : اوصيك بتقوى الله فانها رأس الامر كله ، عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه نور لك فى الارض ، وذخـر لك فى السماء قلت يارسول الله زدنى ، قال : أياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ٠ عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى ٠٠ عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك ٠٠ أحب المساكين وجالسهم ٠٠٠ أنظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك ، فانه أجدر ألا تزدرى نعمة الله عندك ٠٠ ، قل الحق وأن كان مرا ٠٠ ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى ، ثم ضرب بيده على صدرى فقال : يا أبا ذر : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » ٠

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ صفحة ٣